بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ رَمَضَانَ إِلى سَائِرِ العَامِ: استِدَامَةُ العِبَادَةِ

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَشَرَّفَنَا بِأَنْ جَعَلَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ، وَجَعَلَنَا خَيْرَ أُمَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْتَبِرُوا بِانْقِضَاءِ الشَّهْرِ، وَتَذَكَّرُوا بِذَلِكَ انْصِرَامَ العُمْرِ، فَمَا العُمْرُ -مَهْمَا طَالَ- إِلَّا أَشْهُرٌ وَأَيَّامٌ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

هَا هُوَ شَهْرُكُمْ قَدْ تَصَرَّمَتْ أَيَّامُهُ، وَذَهَبَتْ سِرَاعًا لَيَالِيهِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[1]، وَإِنَّ لِرَحِيلِ رَمَضَانَ فِي نَفْسِ كُلِّ مُؤْمِنٍ حُزْنًا، وَلِفِرَاقِهِ فِي قَلْبِهِ شَجَنًا؛ فَإِنْ كَانَ طَائِعًا فَقَدْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَسْتَزِيدَ، وَإِنْ كَانَ عَاصِيًا مُقَصِّرًا رَجَا أَنْ لَوْ كَانَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالإِحْسَانِ نَصِيبٌ، وَإِنَّ وَظِيفَةَ الخِتَامِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ، لِكُلِّ طَائِعٍ أَوْ عَاصٍ، هِيَ الاسْتِغْفَارُ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى حُجَّاجَ البَيْتِ الحَرَامِ بَعْدَ إِذْ أَفاضوا مِنْ عَرَفَاتٍ فَقَالَ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، وَبَعْدَ الصَّلاةِ كَانَ رَسُولُنَا الكَرِيمُ ﷺ يَقُولُ: ((أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ)) ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَفِي القِيَامِ كَذَلِكَ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْ خِيرَةِ القَائِمِينَ لَهُ بِاللَّيْلِ أَنَّهُمْ ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[3]، وَلِهَذَا كَانَ أَوْلَى مَا نُوَدِّعُ بِهِ شَهْرَ رَمَضَانَ الاسْتِغْفَارَ، وَالدُّعَاءَ بِقَبُولِ الصَّالِحَاتِ، وَالجَبْرَ وَإِقَالَةَ العَثَرَاتِ. وَقَدْ حُكِيَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ، وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ. هَذَا وَإِنَّ حَاجَةَ الطَّائِعِ المُجْتَهِدِ إِلى الاسْتِغْفَارِ كَحَاجَةِ العَاصِي المُسْرِفِ صَاحِبِ الأَوْزَارِ؛ فَإِنَّ الطَّائِعَ، مَهْمَا بَلَغَتْ طَاعَاتُهُ، لَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الاسْتِغْفَارِ الَّذِي يَجْبُرُ بِهِ نُقْصَانَ العِبَادَةِ.

(١) البقرة: ١٨٤
(٢) البقرة: ١٩٩
(٣) الذاريات: ١٧، ١٨

مَعَاشِرَ المُؤْمِنِينَ:

مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي شَهْرِهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ، وَلْيَسْأَلْهُ القَبُولَ، وَلْيَخْشَ مِنَ الإِعْجَابِ بِعَمَلِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُحْبِطُ العَمَلَ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: "كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُمْ بِالعَمَلِ"، وَأَمَّا مَنْ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ تَقْصِيرًا أَوْ فُتُورًا، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ أَبْوَابَ اللَّهِ لا تُغْلَقُ، وَأَنَّ مَوَاسِمَ الطَّاعَةِ إِنَّمَا تُفْتَحُ لِتَصْحِيحِ المَسَارِ لا لِلْيَأْسِ وَالانْكِسَارِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، فَلْيُبَادِرْ إِلَى الرُّجُوعِ وَالإِنَابَةِ؛ فَإِنَّ رَبَّ رَمَضَانَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَهْرٍ وَزَمَانٍ، يَقْبَلُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَيَجْبُرُ مَنْ صَدَقَ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ. هَذَا وَإِنَّ المَقْصُودَ الأَعْظَمَ مِنَ العَبْدِ هُوَ دَوَامُ العِبَادَةِ مَدَى الحَيَاةِ كَمَا قَالَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[2]، وَقَالَ اللهُ لِخَيْرِ عِبَادِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[3]، وَقَدْ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ دِيمَةً، أَيْ دَائِمًا، وَقَالَ ﷺ: ((أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)). وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَكَاسِبِ رَمَضَانَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنَا مُدَاوَمَةَ العِبَادَةِ لا مَوْسِمِيَّتَهَا، وَالاسْتِمْرَارَ عَلَى الطَّاعَةِ لا الانْقِطَاعَ عَنْهَا، وَأَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ وَقَدْ تَعَلَّمْنَا كَيْفَ نَثْبُتُ بَعْدَ الانْدِفَاعِ، وَنَسْتَقِيمُ بَعْدَ الحَمَاسَةِ، وَنُوَاصِلُ السَّيْرَ إِلَى اللَّهِ بِلا انْقِطَاعٍ؛ فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ نُكْثِرَ العَمَلَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ثُمَّ نَتْرُكَهُ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ أَنْ نَحْمِلَ مِنْ رَمَضَانَ زَادًا يَبْقَى، وَخُلُقًا يَسْتَمِرُّ، وَطَاعَةً تُرَافِقُنَا فِي سَائِرِ الأَعْوَامِ؛ فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى القَلِيلِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ ثَبَتَ عَلَى الطَّاعَةِ فِي حَيَاتِهِ ثَبَّتَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى الإِيمَانِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ –عِبَادَ اللَّهِ–، وَالْتَزِمُوا طَاعَتَهُ وَالإِقْبَالَ عَلَيْهِ جَلَّ فِي عُلاهُ، وَإِنْ حَادَتْ بِكُمُ السُّبُلُ فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

(١) الزمر: ٥٣
(٢) مريم: ٣١
(٣) الحجر: ٩٩
(٤) آل عمران: ١٣٥

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي جَعَلَ الأَعْمَالَ بِخَوَاتِيمِهَا، وَالأَعْمَارَ بِأَوَاخِرِهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَتَابِعِيهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الصَّائِمُونَ القَائِمُونَ الأَبْرَارُ:

إِذَا كَانَ وَدَاعُ رَمَضَانَ يُوقِظُ فِي القُلُوبِ الحُزْنَ وَالرَّجَاءَ، فَإِنَّ الحِكْمَةَ أَنْ نُحَوِّلَ هَذَا الشُّعُورَ إِلَى عَهْدٍ دَائِمٍ لا يَنْقَطِعُ بِانْقِضَاءِ الشَّهْرِ، فَاجْعَلُوا مِنْ رَمَضَانَ مَدْرَسَةً لِجَمِيعِ العَامِ؛ فَالصِّيَامُ مَا يَزَالُ مَشْرُوعًا تَنَفُّلًا فِي جَمِيعِ العَامِ، مَنْدُوبًا سَائِرَ الأَيَّامِ، وَلا سِيَّمَا ثَلاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَيَوْمُ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((صَوْمُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ))، وَقَالَ ﷺ: ((تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))، وَأَوَّلُ صِيَامِ النَّافِلَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ صِيَامُ السِّتِّ مِنْ شَوَّالٍ؛ فَقَدْ حَثَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَأَنَّهُ جَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ النَّافِلَةِ البَعْدِيَّةِ فِي الصَّلاةِ المَفْرُوضَةِ، فَقَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ))، وَإِنَّ فِي صِيَامِهَا مَعَ هَذَا الفَضْلِ العَظِيمِ وَالثَّوَابِ الجَزِيلِ، تَدْرِيبًا لِلنَّفْسِ عَلَى إِتْبَاعِ الطَّاعَةِ بِالطَّاعَةِ، وَالمُبَادَرَةِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ تَثْبِيتًا لِلنُّفُوسِ عَلَى الخَيْرِ، وَاتِّقَاءً لِفِتَنِ الحَيَاةِ، وَمُعَاهَدَةً للَّهِ تَعَالَى عَلَى المُدَاوَمَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ. وَكَذَلِكَ خُذُوا – أَيُّهَا الأَحِبَّةُ الكِرَامُ– مِنْ مَدْرَسَةِ القِيَامِ الرَّمَضَانِيِّ دُرُوسًا لِسَائِرِ العَامِ، فَإِنْ كَانَ القِيَامُ فِي رَمَضَانَ قَدِ انْقَضَى فَإِنَّهُ مَا يَزَالُ مَشْرُوعًا فِي جَمِيعِ العَامِ، فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]، وَقَالَ ﷺ: ((مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ))، وَأَمَّا بَابُ الصَّدَقَةِ وَالإِطْعَامِ فَالعَامُّ كُلُّهُ لَهُ مَيْدَانٌ، فَفِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: ((أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَأَفْشُوا السَّلامَ، تُوَرَّثُوا الجِنَانَ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ –عِبَادَ اللَّهِ–، وَاجْعَلُوا مِنَ الشَّهْرِ الكَرِيمِ بِدَايَةً، وَدَاوِمُوا عَلَى العِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ؛ فَإِنَّ أَبْوَابَ الخَيْرِ أَمَامَكُمْ مُشْرَعَةٌ: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[2]، وَفَضَائِلَ الرَّحْمَنِ مَلْأَى بِالعَطَايَا، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَمَنِ اجْتَهَدَ شَكَرَ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ أَذْنَبَ فَاسْتَغْفَرَ غَفَرَ لَهُ، وَهُوَ الغَفُورُ الشَّكُورُ.

(١) السجدة: ١٦
(٢) البقرة: ١٤٨

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦